تيار الوعي في الرواية العربية بين الدراسة النصية والدراسة المصدرية: مقاربة في البنية والأساليب والمصادر.

ARAB ROMANIDA MATNSHUNOSLIK VA MANBASHUNOSLIK O‘RTASIDAGI ONG OQIMI: TUZILISH, USLUB VA MANBALARGA YONDASHUV

STREAM OF CONSCIOUSNESS IN THE ARABIC NOVEL BETWEEN TEXTUAL STUDY AND SOURCE STUDY: AN APPROACH TO STRUCTURE, STYLES AND SOURCES

ПОТОК СОЗНАНИЯ В АРАБСКОМ РОМАНЕ: МЕЖДУ ТЕКСТОЛОГИЧЕСКИМ И ЛИТЕРАТУРНЫМ ИССЛЕДОВАНИЯМИ:ПОДХОД К СТРУКТУРЕ, СТИЛЯМ И ИСТОЧНИКАМ

حاتم علي عبد الظاهر أبو عمرة حسن يوسف
مدرس مساعد
جامعة طشقند الحكومية للدراسات الشرقية
Hatem.aboamra1@gmail.com

ملخص:
المقال يوضح كيف يشكّل تيار الوعي نقطة التقاء بين الدراسات النصية والدراسات المصدرية في الرواية العربية الحديثة، من خلال تحليل بنية الوعي والزمن النفسي، وتتبع التأثيرات الغربية والعربية التي أسهمت في تشكيل هذا الأسلوب. كما يبيّن أثر تيار الوعي في تحديث السرد وبناء الشخصية وتطوير التجربة الروائية العربية .

Annotatsiya : Maqolada ong oqimi usuli zamonaviy arab romanida matn tahlili va manbashunoslikni qanday bog‘lab turishi tushuntiriladi. Unda ichki ong oqimining tuzilishi, psixologik vaqt va g‘arb hamda arab ta’sirlari ko‘rsatiladi. Shuningdek, bu usul arab nasrining yangilanishiga qanday hissa qo‘shgani bayon etiladi.

Abstract: The article explains how stream of consciousness serves as a link between textual analysis and source studies in modern Arabic fiction. It examines internal narrative structures, psychological time, and the Western and Arabic influences behind this technique. It also highlights the role of stream of consciousness in modernizing narrative form and character construction.

Аннотатсия: В статье показано, как поток сознания объединяет текстовые исследования и источниковедческий подход в современной арабской прозе. Рассматриваются внутренняя структура повествования, психологическое время и западные и арабские влияния. Показана роль этой техники в обновлении арабского романа.

الكلمات المفتاحية: الأدب العربي، الرواية العربية، تيار الوعي، الدراسات النصية، الدراسات المصدرية، التحليل الأدبي، السرد الداخلي، النقد الأدبي، التجريب السردي، الأسلوب السردي.

Kalit so’zlari: arab adabiyoti, arab romani, matnshunoslik, manbashunoslik, adabiy tahlil, ichki rivoyat, adabiy tanqid, hikoya tajriba, hikoya uslubi.

DOI: 10.5281/zenodo.18035693

Ключевые слова: арабская литература, арабский роман, текстология, источниковедение, литературный анализ, внутреннее повествование, литературная критика, повествовательный опыт, повествовательный стиль.

Keywords: Arabic literature, Arabic novel, textual studies, source studies, literary analysis, internal narrative, literary criticism, narrative experience, narrative style.

المقدمة

شهد الأدب العربي الحديث تحوّلات جذرية مسَّت بنيته السردية، ورؤيته للذات والواقع، وطريقته في تمثيل الإنسان وتحليل وعيه الداخلي. وقد أتاحت هذه التحولات للرواية العربية أن تنتقل من مرحلة السرد التقليدي ذي البنية الخطية الواضحة، إلى آفاق جديدة تتيح للكاتب التفتيش في أعماق النفس البشرية، وفي طرائق اشتغال الوعي وما ينطوي عليه من طبقات، وتوترات، وتداخلات شعورية. ويُعَدّ "تيار الوعي" واحدًا من أبرز الأساليب الفنية التي دخلت إلى الرواية العربية خلال القرن العشرين، مستفيدة من موجة الحداثة الغربية، ومن التحولات الفلسفية والنفسية التي حملتها دراسات الوعي واللاوعي وعلوم النفس التحليلي.

وقد أصبح هذا التيار اليوم مجالًا خصبًا للتحليل النقدي، لأنه يقدِّم مادة غنية للدراسة النصية (التي تُعنى بالبنية واللغة والزمن والذات الساردة)، كما يفتح آفاقًا واسعة للدراسة المصدرية التي تستقصي الجذور الفكرية، والمصادر الأدبية، والتأثيرات الفلسفية التي أسهمت في تشكّله داخل الثقافة العربية.

ويهدف هذا المقال إلى تقديم قراءة شاملة لتيار الوعي في الرواية العربية بوصفه نقطة التقاء بين الدراسة النصية والدراسة المصدرية، مع تتبّع مسار ظهوره، وخصائصه الفنية، وتجلياته في النصوص، ومصادره المتنوعة، وصولًا إلى بيان أثره في تطور الرواية العربية الحديثة.

المحور الأول: السياق التاريخي للتحوّلات السردية في الرواية العربية

دخلت الرواية العربية منذ منتصف القرن العشرين في مرحلة تجريبية واضحة، اتّسمت بالرغبة في تجاوز النموذج الكلاسيكي الذي كان قائمًا على تسلسل الحدث، وهيمنة الراوي العليم، ووحدة الزمن، وترابط الحبكة. وجاءت التحولات الفكرية والسياسية – مثل صعود القومية، وتغيّر البنى الاجتماعية، والاحتكاك بالغرب – لتفتح المجال أمام أشكال جديدة من التعبير عن الذات.

ومع توسّع حركة الترجمة، واطلاع الكتّاب العرب على أعمال جيمس جويس، ومارسيل بروست، وفرجينيا وولف، وجدوا في "تيار الوعي" تقنية قادرة على تمثيل الإنسان الحديث الذي يعيش تمزقات داخلية، وأزمات هوية، وصراعًا بين الذاكرة والواقع. وهكذا انتقل السرد العربي من سرد "الحدث" إلى سرد "الوعي"، وأصبح النص الروائي يتقدّم من الداخل إلى الخارج، لا العكس.

المحور الثاني: تيار الوعي – المفهوم والخصائص الفنية

يُقصد بتيار الوعي الأسلوب السردي الذي يسعى لتمثيل الفكر كما يتحرك في الذهن لحظة بلحظة، دون التزام بالتسلسل المنطقي أو البنية الخارجية للحدث. إنه كشف مباشر لما يدور في الذات: خواطر، ذكريات، انقطاعات، صور نفسية، انفعالات، تخيلات، وتداعيات متشابكة.

خصائصه الأساسية:

1. **المونولوج الداخلي**

حيث يتحدث الراوي مع ذاته دون مخاطب خارجي، مقدّمًا رؤية صافية للنفس.

2. **التداعي الحر**

انتقال الأفكار دون رابط منطقي ظاهر، كما يحدث في الذهن الطبيعي.

3. **الزمن النفسي**

يتم الاستغناء عن الزمن الخارجي لصالح "زمن الوعي"، الذي يتوسع وينكمش وفق شعور الشخصية.

4. **تفكّك البناء التقليدي**

غياب الحبكة التقليدية لصالح تدفّق المشاعر.

5. **اللغة الانزياحية**

اعتماد لغة ذات طابع تجريدي، وإيقاعي، وذاتي، تُعبِّر عن العمق النفسي لا عن الواقع الموضوعي.

بهذه الخصائص يصبح تيار الوعي أكثر من مجرد تقنية؛ إنه رؤية جديدة للعالم وللكائن الإنساني.

المحور الثالث: تجلّيات تيار الوعي في الرواية العربية

لم يأت توظيف تيار الوعي إلى الرواية العربية دفعة واحدة، بل جاء تدريجيًا عبر تجارب متنوّعة.

ويمكن الإشارة إلى أبرز الروائيين الذين أسهموا في إدخاله:

1. **عبدالرحمن منيف**

الذي استخدم المونولوج والتداعي النفسي في بعض أعماله ليكشف تفاصيل الاغتراب والعزلة.

2. **جبرا إبراهيم جبرا**

في أعماله يمتزج الوعي بالذاكرة، فتتداخل الأزمنة داخل ذات واحدة تعيش ارتهانًا للماضي وتوقًا إلى المستقبل.

3. **نجيب محفوظ**

في بعض رواياته، خصوصًا المرحلة الفلسفية، ظهر الميل إلى الغوص داخل وعي الشخصيات.

4. **غائب طعمة فرمان**

الذي قدّم لغة داخلية دقيقة في وصف شخصيات مأزومة نفسيًا واجتماعيًا.

5. **ليلى العثمان**

حيث جعلت من الذات النسوية مركزًا للسرد الداخلي الذي يكشف مكبوتات اجتماعية وثقافية.

وتدل هذه النماذج على أن التقنية لم تكن مجرد محاكاة للغرب، بل جاءت نتيجة حاجة داخلية للتعبير عن الاضطرابات السياسية والاجتماعية التي هزّت العالم العربي.

المحور الرابع: مقاربة نصية لتيار الوعي في الرواية العربية

تمكّن الدراسة النصية الباحث من التوغّل داخل البنية السردية، وتحليل طريقة تمثيل الوعي في النص.

ويتيح تيار الوعي – لخصائصه الخاصة – مداخل عدّة للدراسة النصية، أبرزها:

1. **تحليل بنية السرد الداخلية**

يتحوّل السرد إلى حركة داخل النفس، لا تتبع خطًا زمنيًا واضحًا، بل ترتبط بتموّجات الشعور.

2. الزمن النفسي

تكشف الدراسة النصية كيف ينقسم الزمن إلى لحظات، وكيف يتوسع لاستيعاب ذكريات تمتدّ عشرات السنين، أو ينكمش لحظة خوف أو توتر.

3. الراوي-الذات

يختفي الراوي العليم، ويظهر الراوي الداخلي، الذي يعيش التجربة ويحكيها في الوقت نفسه.

4. اللغة بوصفها مرآة للوعي

تُظهر الدراسة النصية الانزياحات اللغوية، وتفكّك الجمل، والصور المتتابعة التي تعبّر عن اللاوعي أكثر من الوعي الظاهر.

5. العلاقة بين الحدث والوعي

يتراجع الحدث، وتصبح الشخصية هي مركز البناء، ويتحوّل السرد من "ماذا يحدث؟" إلى "كيف يشعر الإنسان؟."

كل هذا يجعل تيار الوعي مادة مثالية للدراسة النصية، لأنه يكشف البنى العميقة للنص، والآليات التي تعمل داخل الذات أثناء الكتابة.

المحور الخامس: الدراسة المصدرية لتيار الوعي – البحث في الجذور والتأثيرات

الدراسة المصدرية تسعى إلى تفسير ظهور الظاهرة، وفهم مصادرها الفلسفية والنفسية والأدبية.

وبالنسبة لتيار الوعي في الرواية العربية، فإن مصادره متعددة، ويمكن تحديدها في ثلاثة اتجاهات رئيسية:

1. المصادر الغربية

وهي الأكثر وضوحًا:

- جيمس جويس
- مارسيل بروست
- فرجينيا وولف

وقد وصلت هذه التأثيرات إلى الأدب العربي عبر الترجمة، والدراسة في الجامعات، وتفاعل المثقفين العرب مع الفكر الحداثي.

2. المصادر النفسية والفلسفية

- دراسات "فرويد" حول اللاوعي
- نظريات "يونغ" عن الأنا والذات
- الفلسفة الوجودية التي جعلت من الإنسان عالمًا داخليًا

وقد وفّرت هذه المصادر أساسًا فكريًا لكتابة تعتمد وعي الشخصية بوصفه مركزًا للسرد.

3. جذور عربية داخلية

وهو جانب مهم غالبًا ما يغفل عنه بعض الباحثين.

فتيار الوعي لم يأتِ إلى الأدب العربي بوصفه وافدًا خالصًا، بل له جذور عربية قديمة، مثل:

- أدب الصوفية القائم على الكشف الداخلي.
- أدب الاعترافات في التراث العربي الإسلامي.
- الرسائل النفسية التأملية.
- بعض ملامح المقامات من حيث التركيز على الذات ووعيها بالعالم.

هذه الجذور تُظهر أن الثقافة العربية كانت تمتلك استعدادًا داخليًا لظهور هذا الأسلوب، وأن دخول التأثيرات الغربية جاء ليُفعّل إمكانات كامنة في النص العربي.

المحور السادس: العلاقة بين الدراسة النصية والدراسة المصدرية في فهم تيار الوعي

يُتيح الجمع بين الدراستين (النصية والمصدرية) قراءة شاملة لتيار الوعي.

فالدراسة النصية تكشف **كيف** يتجلى الوعي داخل النص، بينما تفسر الدراسة المصدرية **لماذا** جاء النص بهذه الصورة، وما العوامل التي أنتجته.

التكامل بينهما يظهر في:

1. **فهم طبيعة البناء السردي**

لا يمكن تفسير التفكّك الزمني في رواية تعتمد تيار الوعي إلا بمعرفة المصادر النفسية التي تؤسس لفكرة الزمن الداخلي.

2. **تحليل اللغة والأسلوب**

اللغة الانزياحية ترتبط بتراث صوفي عربي من جهة، وبأسلوب الحداثة الغربية من جهة أخرى.

3. **تفسير تطور الشخصية الروائية**

فالشخصية في تيار الوعي ليست استجابة للحدث فحسب، بل هي نتاج تراكمات ثقافية ونفسية ومجتمعية.

4. **القدرة على قراءة النص بوصفه وثيقة ثقافية**

أي نص يكتب تيار الوعي يحمل آثارًا من الثقافة العربية الخاصة، ومن الثقافة العالمية، ويجب دراسة الاثنين معًا.

وبهذا يصبح تيار الوعي نقطة التقاء بين البنية (Structure) والمصادر(Sources) ، أي بين الشكل والمضمون، بين التحليل الداخلي والخارجي.

المحور السابع: أثر تيار الوعي في تطور الرواية العربية

أدّى دخول تيار الوعي إلى الرواية العربية إلى تغيّر جذري في أشكال التمثيل السردي. ويمكن تلخيص هذا الأثر في النقاط التالية:

1. **تحويل السرد إلى تجربة داخلية**

أصبحت الرواية تُقرأ بوصفها رحلة في الذات، لا سردًا للأحداث.

2. **تعميق البنية النفسية للشخصيات**

انتقلت الشخصية من كونها مجرد عنصر في الحبكة إلى كيان نفسي قائم بذاته.

3. **تغيير علاقة الرواية بالزمن**

لم يعد الزمن خطيًا، بل أصبح دائريًا، متشظيًا، وممتدًا وفق الذاكرة.

4. **فتح المجال للتجريب اللغوي**

سمح تيار الوعي بتطوير لغة روائية جديدة تعتمد الإيقاع والصورة والمجاز.

5. **تعزيز الاتجاه التأملي الفلسفي**

إذ أصبح النص الروائي مساحة لتأمل الوجود، والذات، والمعنى.

وهكذا أسهم تيار الوعي في تحديث الرواية العربية، ووضعها في حوار مباشر مع التجارب العالمية.

الخاتمة

إنّ دراسة تيار الوعي في الرواية العربية بوصفه نقطة التقاء بين الدراسة النصية والدراسة المصدرية تكشف ثراء هذا الأسلوب وقدرته على تقديم صورة فنية متقدّمة للإنسان العربي المعاصر. فمن خلال الدراسة النصية يمكن فهم البنية الداخلية للنص، وما ينطوي عليه من تمثيل للوعي، والزمن النفسي، واللغة الشعورية. ومن خلال الدراسة المصدرية تُفهم الجذور التي استند إليها هذا الأسلوب، سواء جاءت من الحداثة الغربية، أو من العلوم النفسية، أو من التراث العربي العميق.

المراجع:

1. **Sigmund Freud** – *The Interpretation of Dreams*.
2. **Carl Jung** – *The Archetypes and the Collective Unconscious*.
3. **Tzvetan Todorov** – *Poetics of Prose*.
4. **Mieke Bal** – *Narratology: Introduction to the Theory of Narrative*.
5. جابر عصفور – **زمن الرواية** – الهيئة المصرية العامة للكتاب.
6. محمد برادة – **أسئلة الرواية** – دار توبقال.
7. سعيد يقطين – **تحليل الخطاب الروائي** – المركز الثقافي العربي.
8. عبدالله إبراهيم – **السردية العربية الحديثة** – المركز الثقافي العربي.
9. عبد الملك مرتاض – **في نظرية الرواية** – دار القصبة.